المقدمة

سحر الشرق، جمال الشرق، جاذبية الشرق، عبارات طالما ترددت على أقلام الكتاب والمؤلفين حتى ألفناها، ولكن سحر الغرب وجماله وحضارته وتقنياته طغت على الساحة الفكرية والأدبية والثقافية والسياسية والاقتصادية بسبب هيمنة الغرب وسيطرته وسطوته. فكان اتصالنا بالغرب في العالم العربي من خلال احتلاله أراضينا وفرض لغته وثقافته علينا، ومن خلال الأدب العربي الذي تفنن مبدعونا في الحديث عن الغرب وحضارته وثقافته. وجاء الإعلام المرئي فازداد العرب والمسلمون إعجاباً بالغرب وانبهاراً وعشقاً وتيهاً به.

وكانت البعثات الدراسية إلى الغرب في شقيه الأوروبي والأمريكي، فزاد تعلق الكثير منّا بالغرب. كما فتحت أبواب السياحة وكانت للغرب حتى تكاد بريطانيا أو لندن بخاصة تتحول إلى عاصمة عربية. وأتيحت لي الفرصة لأن أكون مبتعثاً في الولايات المتحدة الأمريكية، فازدادت معرفتي بالغرب وثقافته وحضارته وسحره وجماله. وزاد الاهتمام

obeikandl.com

حين توجهت إلى دراسة الاستشراق (الجهود الأكاديمية الغربية حول الإسلام والمسلمين)، فاستمرت صلتي تقوى بالغرب.

وعملت في الخطوط السعودية، وتطلب عملي أن يكون تخصصي وسفري إلى الغرب، مع أنني كنت أسمع عن السفر إلى الشرق وجماله، بل كم سمعت عن سفر رئيسي في العمل إلى تايبيه وسيول وبانكوك وطوكيو وغيرها. وكانت تمر في خاطري رغبة في أن أستكشف هذا العالم. ولكن لم يكن الأوان قد حان بعد.

ومنّ الله عز وجل عليَّ بالرحلة إلى الشرق، فكانت أولى رحلاتي إلى الفلبين قبل ما يزيد على عشرين سنة رحلة سياحية قصيرة غلب عليها التسوق. ولكن لم تكن تلك نهاية المطاف، فقد عرفت عن مؤتمر للرابطة العالمية لتاريخ الأديان يعقد في طوكيو باليابان، فكانت أولى رحلاتي عام ١٤٢٤هـ (٢٠٠٤م) لحضور المؤتمر، فقضيت عدة أيام زيادة على حضور المؤتمر لزيارة جامعة طوكيو والمؤسسة اليابانية. فتوطدت صلاتي باليابان وخصوصاً حينما كلفت من مركز الملك فيصل بأن أعد مشروعاً لإنشاء الدراسات الإقليمية في الجامعات السعودية، فكان مثال اليابان أحد الأمثلة التي قدمتها في المشروع، فأعجب اليابانيون لاهتمامي بهم، حتى إنهم ترجموا ذلك الجزء إلى لغتهم.

وتوطدت الصلة بيني وبين بعض الجهات الثقافية اليابانية كالبروفيسور يامائوتشي من جامعة طوكيو وبعض الباحثين اليابانيين والمؤسسة اليابانية، فوجهت إليَّ دعوة لقضاء أسبوعين ضيفاً على المؤسسة، فشددت رحالي مصطحباً خديجة وهاشم في سياحة رائعة، عرفت عدة مدن يابانية غير

طوكيو مثل كيوتو وأوزاكا وهيروشيما. وكانت هذه الرحلة فرصة للتعرف على اليابان أكثر معرفة بمؤسساتها العلمية ومتاحفها وطبيعتها.

سرت في شوارعها وأزقتها، ورأيت طبيعة اليابان الخلّابة، وأعجبت بطريقة اليابانيين في تنسيق الحدائق، فعلى الرغم من الجهد الكبير في التنسيق تبدو قريبة من الطبيعة التي يشعر الإنسان فيها بالارتياح والطمأنينة، وتصر زوجتي خديجة على أن هذه الرحلة من أجمل الرحلات التي قمنا بها.

وكانت محطتي الثانية في الشرق ماليزيا وخصوصاً العاصمة كولالمبور لحضور مؤتمر في الجامعة الإسلامية العالمية حيث أقمت بضعة أيام رأيت الأمطار تهطل في كولالمبور بغزارة لم أعرفها من قبل، فكمية المطر التي كانت تسقط في ساعة تساوي ما يسقط في المدينة المنورة عشرة أعوام. كما رأيت الغابات وجمال الطبيعة الخلاب.

ولأهداف أكاديمية بحتة وهي الاطلاع على برنامج الدراسات الأمريكية في هونج كونج زرت الجامعة المشهورة هناك وبرنامجها، وأمضيت أياماً تعرفت على عالم هونج كونج الصاخب في جانب، وعالمها الجميل من جانب آخر في الجهة التي تقع فيها الجامعة. زرت أسواقها الليلية، وطاردني بعض باعة البضائع المقلدة - والتقليد عندهم على درجات - لا يعرضون لك البضاعة كلها في الشارع، بل لا بد أن تسير معهم في مكان غير بعيد عن الأعين.

وتوالت زياراتي إلى الشرق، فزرت تايوان في رحلتين: إحداهما برفقة سمو رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، تعرفنا خلالها على الجمعية الإسلامية، وصلينا الجمعة معهم، وكان لقاءً جميلاً، تعرفنا على جانب من حياة المسلمين في تايوان، كما في جامعة شانج شي الوطنية، والتقينا طلاب قسم اللغة العربية وآدابها، الذين أظهروا حبهم للغة العربية وإتقانهم لها، فاقترحت أن يتطور القسم ليصبح للدراسات العربية والإسلامية أو دراسات الشرق الأوسط. وكان هذا الاقتراح سبباً في زيارتي الثانية بالإضافة إلى حضوري مؤتمر الرابطة الآسيوية لدراسات العولمة في مدينة تشائي في الجنوب التايواني، والاشتراك في ندوة حول مستقبل علاقات تايوان بالشرق الأوسط.

وزرت الهند لحضور المؤتمر السابع لجمعية الدعوة الذي يحضره أكثر من مئتي ألف مشارك، ويشتمل على ندوات ومحاضرات وفعاليات ثقافية واجتماعية.

وسافرت إلى أقصى أقصى الشرق إلى أستراليا، حيث زرت جامعة سيدني وجامعة كانبيرا (عاصمة أستراليا)، وتعرفنا إلى الجالية المسلمة أو المسلمين الأستراليين، الذين استطاعوا بقوة أن يتجاوزوا محنة الحادي عشر من سبتمبر، ويثبتوا أقدامهم في أستراليا، ليحافظوا على دينهم وقيمهم وشخصيتهم، حتى رأينا تلك المدرسة الابتدائية التي لا يمكن أن ينساها الإنسان، لروعة الجهود في المحافظة على اللغة العربية، وقدرة الأطفال على التحدث بها، وما قدموه من خطب ومشاهد تمثيلية جميلة.

وهكذا تعرفت إلى الشرق. وفي الصفحات الآتية أقدم لك أيها القارئ الكريم والقارئة الكريمة لمحات سائح أكاديمي (في المقام الأول) عن هذا العالم، الذي وصف بالساحر والجذاب والمثير. وكان كما قيل وأكثر، فأرجو أن تجد فيه المتعة والفائدة والتسلية.

مازن مطبقاني

الرياض-١٥ ربيع الآخر ١٤٣١هـ

obeikandl.com